الفصل الأول
عمر الخيام: الإسم، والكُنية، والزواج، والأولاد والقابه الجلالية والعلمية

*****

(١)

الإسم

الإجماع على أن اسم الخيام هو عمر بن إبراهيم، ولم يثبت له اسم ثلاثى، ولم تتوفر البحوث في أصله ونسبه وانتماءاته العرقية والطبقية. واقتصار الاسم علي عمر بن إبراهيم يؤكد أن الخيام لم يكن يهتم بأن ينسب نفسه ويسلسل لشجرة عائلته. والغالب أنه من أصول عربية سُنيّة، فاسم عمر لايذكره الشيعة الإيرانية، وهم أغلب الشعب، إلا بالسوء والسبّ . ولو كانت أصوله إيرانية لكان الأوْلَى أن يؤكد ذلك بإلحاق اسمه بأى اسم أو صفة إيرانية، أو حتى بأن ينسب نفسه إلى البلد الذى تنتمى إليه أصوله، كما يفعل كل شعراء الفرس تقريبا، كالبادغيسى والسغدى والسجزى والكنجوى والفرخى والخاقانى وغيرهم. وحتى لو كان الخيام سنياً مع كونه إيرانيا، لما أطلق أبوه عليه اسم عمر ليستعدى عليه الناس الذين يُنَشّأون على كراهية هذا الاسم. والغالب إذن أن عمر كان عربى النسب، ومن العرب الذين يهاجرون إلى إيران أو هاجروا إليها مع الفتح العربى، وانصهروا مع السكان الأصليين، وتزوجوا منهم واحتفظوا لأنفسهم ولأبنائهم بأسمائهم العربية ليميزوهم بها، وليفاخروا بأصولهم. وكان هؤلاء جميعا من السنّة ولم يتشيعوا بالهجرة، وما يزال السنّة فى إيران حتى اليوم هذه أصولهم . ويقوّى احتمال عروبة الخيام أنه كان يتقن العربية، وينظم الشعر بها ويؤلف المصنفات، ويندر ذلك بين شعراء الفرس الخالصة فارسيتهم.

*****

(٢)

الكنية «أبو الفتح»

وكان الخيام يُكنّى «أبا الفتح غيّاث الدين»، وكأن الخيام كان له ابن اسمه «فتح»، وكأنه تأهّل وعرف الزوجة والولد وكانت له أسرة، ويؤيد هذا الاحتمال ما أورده البيهقى فى تأريخه

للخيام فى كتابة «**حكماء الإسلام**» : أن ختنه الإمام محمد البغدادى حكى له...».

والختن كل من كان من قِبَل الزوجة كالأب والأخ، وهو أيضا زوج الإبنة. وكأن من يقول بزواج الخيام يفسر.. «الختن» بأنه إما حمو الخيام، أو أخو زوجته، أو زوج ابنته. إلاّ أننا نذهب مذهباً آخر، وهو فيما اعتقد الأصح، فقد يكون الخيام نفسه هو أخو زوجة البغدادى. ويؤكد القول بأن الخيام لم يتزوج الرباعية التى ترد عنه ضد الزواج:

ما خلق الله راحةً وَهنَا
إلاّ لمن عاش مُفْرَداً حَزِيَا
مَنْ ترك الانفرادَ واقترنا
فقد جَنَى بعد راحةٍ تعَبا

وقد يقول قائل إن المرء يمكن أن يكون متزوجاً وله مع ذلك رأى فى الزواج يدعو إلى ضده. إلاّ أن فلسفة الخيام فى الزهد، ونفوره من كافة الارتباطات التى تقيد حرية حركته وتفرض عليه التزامات لها تأثير سلبى على حياته وتفكيره وشعوره بذاته، تحول بيننا وبين قبول هذا الافتراض أيضا.

ثم إن «الفتح» ليس اسما على الحقيقة يجرى مجرى الأسماء التى يمكن أن نطلقها على الصبية، والعكس صحيح أن اسم «ابو الفتح» قد يكون بكامله مما يُطلَق على أحد الناس، وعندنا فى مصر مثلا عائلة « أبو الفتح»، وهذا هو لقبها.

والفتح فى اللغة بمعنى الرزق، وكأن معنى «أبو الفتح» أنه المرزوق. وقد يكون الفتح بمعنى الفيوض الربانية والبركات والإلهامات، والفتّاح من أسماء الله تعالى، فهو سبحانه الفتاح العليم، وكأن المعنى أن الخيام صاحب فتوحات، أى إشراقات. ومن ثم فالأولى أن نسلّم فى تفسير هذه الكُنْية بأنها تفيد صفة من الصفات التى يحب تلاميذ المفكر وأصحابه أن يضفوها عليه، وأن يلقبوه بها، كنوع من التبجيل والتكريم.

والقول بزواج الخيام لا يتوافق البتة مع نظرته الشاملة للوجود الإنسانى حيث يقول:

واضطراراً قد جئت هذى الديارا
وسأضطر للرحيل اضطرارا

ويقول:

دارُنا صـاحِ خـيمةٌ فى قفارِ
ذات بـابـين مـن دجى ونهارِ
ومـقـيلٌ لكل غـادٍ وسارِ

ورغم هذه النظرة المتزهدة والمتشائمة فإنه قد ذكر المحبة كثيراً فى رباعياته، وهو صاحب هذا الشعار «**الحب هو معنى الحياة**». وقد يبدو أن مما يُدرك من ذلك أن المرأة عنده لا يُستغنى عنها، كزوجة أو كخليلة، غير أن معنى المحبة فى السياق العالم لفلسفة الخيام يمكن أن يكون أكبر من ذلك ، وهو يجعله الأول فى مراتب المعانى:

أول دفتر المعانى الهوى
وإنه بيت قصيد الشباب
يا جاهلاً معنى الهوى إنما
معنى الحياة الحب والانجذاب

والذى يعانى الحب هو الإنسان، والخيام قد خصّ نفسه بالحب، وهو ملء قلبه ومعجون فى طينته، وكأنه رسالته فى الحياة، فإذا قال:

دع كل قلب لم يمازجه الهوى
أحَوَاه ديْرٌ أم حَوَاه مسجد
وبدفتر العشاق مَنْ خُطَّ اسمُه
لم يعنه خُلد ونارٌ توقد

فربما كان يعنى نفس ما قصدت إليه رابعة العدوية وهي تقول : ما عبدتُك رغبةً فى جنتك. ـ وتقول : إذا كنتُ أعبدك خوف النار فأحرقنى بنارها، أو طمعاً في الجنة فحرّمها علىّ. ـ وتقول عن حبها إنه الحب له لأنه سبحانه أهل لذلك. ـ وتقول: إذا لم تكن هناك جنة ولانار أفما كان الله تعالى يستحق أن يُعبد؟

يقول الخيام:

يالهذا القلب البئيس المُعَنّى

لم يفق من هوى الحبيب القاسى
مذ أداروا سلافة الحب قِدْماً
ملأوا من دم الحُشاشة كاسى

والسُلافة هى أفضل الخمر تسيل وتتحلب قبل العصر، والرباعية من الواضح أنها لا تعنى الخمر على الحقيقة، لأن المحبة التى تحكى عنها هى محبة قديمة، والشئ من جنسه، والله هو القديم، وهو المحبة سبحانه، ومحبة الصوفية أصلها الانجذاب الذى يحكى عنه الخيام فى قوله «معنى الحياة الحب والانجذاب» ، وانجذاب المحب إلى المحبوب لا يكون إلا للجمال الذى هو عليه، والجمال الحقيقى صفة أزلية لله تعالى، وكل جمال فى الكون هو مظهر من مظاهر جمال الله. ليس إلا الله يحبه الخيام قِدْماً وقد امتلأ قلبه بحبه، وسَكَر بهذا الحب، والسُكْر حال المحب عند مشاهدة جمال المحبوب، والحس فيه يذهل عن المحسوس، وله هيجان يصفه الخيام فيقول يالهذا القلب البئيس المُعَنّى!

وإذن فالحب الذى ينبه إليه الخيام ليس هو الحب الإنسى للأهل والولد، والخيام لا يمكن مع زهده وتجرده إلا أن يكون قد عاش حَصُوراً لم يعرف الزوجة ولا الولد، وليست كنيته «أبو الفتح» إلا من باب التقليد، حيث الاصطلاح في الإسلام على الزواج وأن يُكنّى الرجل بابنه.

*****

وأما كُنيته غياث الدين فالمعنى الذى تنصرف إليه يتصل بعمل الخيام التعليمى، والغياث هو ما يغتاث به المحتاج من طعام أو غيره، وكأن المقصود أن الخيام هو المعلم الذى يُلجأ إليه فى أمور الدين، والدين ديناں، دين عند الله وعند مَنْ عرفه الله، ومَنْ عرف مَنْ عرفه الله، ودين عند الخلْق وقد اعتبره الله، فالدين الذى عند الله هو الذى اصطفاه وهو الإسلام ومعناه الانقياد لله، فالدين هو الانقياد، فمن اتصف بالانقياد لله فذلك هو الذى قام بالدين وأقامه، أى أنشأه كما يقيم الصلاة، فالعبد هو المنشئ للدين، والحق هو الواضع للأحكام، والانقياد إذن هو عين فعل العبد، والدين هو من فعْله. يقول الخيام:

إليك نصحى إذا ما كنتَ مستمعا
لا تلبَسَنّ ثوب تدليس على الجسد
العمر يفنَى وعُقبى المرء دائمة
فلا تبيعن بفانٍ عيشة الأبد

ويقول:

لئن عُمِرْتَ صاحبي ألف حوْل
فسوف تعافُ هذى الدار قهرا
وإن تـكُ سائلاً أو رَبَّ تـاج
فـذانِ غداً سيستويان قدْرا

*****

(٣)

حقيقة اسم «الخيام»

وقالوا فى تفسير اسمه «**الخيام**» أو «**الخيامى**» بالأحرى كما يصرّ المؤرخون من الفُرس، أن الفرق بين الاسمين في الياء الأخيرة وهى ياء النسبة فى العربية، فلو كان أبوه فارسيا لنُسِب كما يقول الدكتور **إحسان حقى** فى كتابه «**الخيام بين الكفر والإيمان**» ـ إلى صنعته باللغة الفارسية، ولكان لقبه «خيمة ساز» مثلا ومعناها خيّام. أمّا أن يسمى «خياماً» فلا مبرر له.

والغالب أن اسم الخيام لقب له أو لأبيه أولعائلته، وربما كان أبوه يمتهن صناعة الخيام أو بيعها. وربما كانت هذه الصناعة فى الأسرة حتى أطلقوها عليهم وصارت لهم لقباً. ويرى **الدكتور حقى** أيضا أن نسبة صناعة الخِيام إلى أبيه أو أسرته أو إلى الخيّام غير صحيحة، لأن الأمر لو كان كذلك لكان الأصح أن تكون النسبة خيمى وليست الخيامى.

ولا أحسب أن الخيام نفسه قد مارس الخيامة، لأنه كما يروى مؤرخوه عن **وصية الوزير نظام الملك** ـ كان يدرس من صباه الباكر على الإمام موفق النيسابورى، وظل يدرس إلى وقت متأخر حتى ظهر نبوغه . وكان تضلّعه فى علمىّ النجوم والحكمة، أى العلم الرياضى، وقضى حياته فى الاشتغال بهما كما يقول **دولت شاه** فى «**تذكرة الأولياء**». فمن أين له الوقت ليشتغل بالخيامة متكسباً؟

وإذن فالخيام لم يكن هذا لقبه إلاّ وراثةً عن أبيه أو أسرته. والغالب أيضا أن يكون الاسم عن الأسرة، لأن أباه لم يكن على الحقيقة صانع خيام ، وإلاّ ما استطاع أن ينفق على تعليم ابنه على الإمام النيسابورى، وأنْ يفرّغه للدراسة لا يزاحمها فيه حرفة أو عمل. وأحسب أن

الأديب محمد السباعي رحمه الله قد خانه التوفيق بنسبة الخيام لصناعة الخيام، ظناً أنه عالجها أيام فقره وخموله قبل أن يفكه الوزير نظام الملك من قيود الحاجة ويمنحه راتباً يغنيه عن أي عمل إلا التوفر للعلم والدراسة. وينقل السباعي عن الخيام ما يؤيد قوله، مترجماً معاني إحدى رباعياته، وفيها بترجمته: أن الخيام الذي خاط خِيام العلم قد وقع في تَنُّور الحزن فأحرقته ناره، وقطع مقراض النحس أطناب حياته، وباع سمسار الأمل عمره في سوق التلف بلاثمن». والرباعية التي يشير إليها السباعي يترجمها أحمد حامد الصرّاف فيما ترجم من رباعياته عن الفارسية فيقول: وقع خيام الذي كان يخيط خيم الحكمة في كور الغم واحترق، وقد قطع مقراض الأجل أطناب عمره وباعه دلاّل الأمل رخيصا.

والمحتمل أن الخيام في هذه الرباعية وغيرها لم يكن يشير إلى حرفته أو حرفة أبيه وإنما يستغل اسمه استغلالا أدبيا فنيا للتعبير عن نفسه تعبيرا جميلاً مؤثراً، ودليلنا الرباعية التي ترجمتها: جسدك يا خيام يماثل الخيمة حقا، والروح التي منزلها دار البقاء تشبه السلطان، فإذا ارتحل السلطان ـ ألا تُقَوَّض الخيمة؟ ـ وحول هذا المعنى يقول البستاني في ترجمته:

إيه سِفْر الحياة آن اختتامك
إيه خـيّام قد تداعت خيامُك
وتـــداعت من حدّها أيـامُك

ويقول أيضا:

إيه خـيّام ! إنما الأجســام
لـلنـفوس المـؤمّرات خـيام
ولحـــينٍ لهـنّ فيها مقــام
ثم يُخـلـينها إلى لا مكان

ويذهب الشاعر الإنجليزي فيتزجيرالد مترجم الخيام إلى مذهب آخر في تفسير لقبه الخيّام أو الخيامي، وينكر أن يكون هذا اللقب نسبة لحرفة الخيامة، سواء للخيام أو لأبيه أو لأسرته، زاعماً أنه مجرد لقب شعري أو «تخلص» بمعنى الاسم القلمي، وتلك كانت عادة شعراء الفرس، وأن الخيام اختاره لنفسه يتوخى به التواضع خلافاً للعطاّر والفردوسي والسعدي وغيرهم ممن اتخذوا لأنفسهم ألقابا رنانة فخيمة، فالعطار نسبة للعطارة أو الصيدلة التي امتهنها، والفردوسي نسبة للفردوس من مراتب الجنة وهي أعلاها، والسعدي من السعد

بمعنى السعادة. ولئن صدق ذلك على الفردوسى والسعدى ، فكيف يصدق على العطار؟ وأى فخر له أن ينسب نفسه للعطارة؟ وماهو التواضع فى أن ينسب الخيام نفسه للخيامة؟

والأغلب إذن كما يقول **أحمد الصرّاف** أن الخيامى هو اسمه على الحقيقة وليس «تخلصاً» أى اسماً قلمياً. غير أن الصرّاف يذهب مذهباً بعيداً جداً ويروى أنه يوجد بهذا الاسم شاعران وليس شاعراً واحداً، أحدهما لقبه أو اسمه **الخيام** والآخر هو **الخيامى**، وذلك هو شاعرنا. وأمّا الخيام فهو فى زَعْم الصراف من يدعى **علاء الدين على بن محمد بن أحمد بن خلف الخراسانى**، وله شعر كثير مشهور وديوان بالفارسية. وينقل الصرّاف هذا الخبر عن معجم يعطيه اسم «**معجم الألقاب**»، قال إن لدى الدكتور **مصطفى جواد** نسخة منه أطلعه عليها، وأن الاسم قد ورد هكذا فى المجلد الرابع من المعجم ص١٧٦. ويستنتج أن بعض رباعيات هذا الخيام ربما نسبت لعمر الخيامي خطأ. وهذا الزعم يدحضه الأديب الإيرانى **على دشتى** فى كتابه «**البحث عن الخيام**» وينفى أن يكون هناك معجم بهذا الاسم، وأن هذا الشاعر الذى يشير إليه الصرّاف تخلو منه تماماً مراجع الشعر الإيرانية، وأنه لم يرد فى أى كتاب أو معجم أو موسوعة إيرانية اسم الخيام أو الخيامى إلا والمقصود به شاعرنا هذا – عمر الخيام – الحكيم الفلكى!

*****

(٤)

ألقابه الجلالية والعلمية

ولقد أضفى المؤرخون على الخيام عدداً من الألقاب قالوا إن الخيام كان يُنادَى بها فى المجالس، منها أنه **الخواجه، والإمام، وحجة الحق، وعلاّمة الزمان، والحكيم، والدستور، والفيلسوف.**

ويذكر **البيهقى** أن **الإمام القاضى أبا نصر محمد بن إبراهيم النسوى** أثنى عليه وأسماه **سيد الحكماء** وقال فيه أبياتاً من الشعر أجملها فى هذه الأبيات الأربعة:

إن كنت ترعين ياريح الصبا ذممى * فاقرى السلام على العلاّمة الخيمى
بوسى لديه الأرض خاضعة * خضوع من يجتدى جدوى من الحكم
فهو الحكيم الذى تسقى سحائبه * ماء الحياة رفاة الأعظم الرمم
من حكمة الكون والتكليف ياتى بما * تغنى براهينه عن أن يقال لِمَ

والخواجه التى اشتهر بها الخيام تعنى بالفارسية السيد. **والإمامة** لقب دينى، ولاتضفى إلا على أهل العلم من النابهين الذين يؤتم بهم فى تخصصاتهم ويُسمع لهم ويطاعون. وقد وصفه مؤرخه **البيهقى** بأنه «**الشيخ المطاع**». ويخصه **القفطى** فى كتابه **تاريخ الحكماء** بالإمامة لخراسان دون غيرها، ويستطرد: أمّا فى مجال العلم والمعرفة فهو «**بدون نظير**»، وهو «**علاّمة الزمان**»، ويعنى بذلك أنه أوحد أهل عصره فى الفلك والرياضيات.

وأما «**حُجّة الحق**» فالمقصود أنه حجة الله على خلقه، وذلك هو مفهوم اللقب كما يرد عند أهل إيران حتى الآن. وهو عندهم مصطلح دينى صوفى، ويعنون به أنه **إنسان كامل**، ومن ذلك أن آدم عليه السلام كان حجة لله على ملائكته. وقيل فى الإمام الغزالى أنه **حُجة الإسلام**، لأنه كان المرجع لأهل العلم ومايزال، وكانوا ومايزالون يستشهدون به ويحتجون بأقواله، فهو - كما قيل - تاج المجتهدين فى الدين الإسلامى، وسراج المهتدين فى التقوى والورع. وهو مقتدى الأئمة، والمبيّن للحلال والحرام.

وأما اختصاص الخيام بأنه **حجة الحق**، فلأن الحق هو الصواب والصدق والعدل، ضد الباطل والزيف والبهتان. والحق هو الله سبحانه. وقولهم إنه حجة الحق كقولهم آية الله. يقول **الخرّاز الصوفى**: عبد موقوف مع الحق بالحق للحق، يعنى موقوف مع الله بالله ولله. ويقول **العروضى فى جهار مقاله** أنه كان فى خدمة الأمير فسمع حجة الحق الإمام عمر يقول: سيكون قبرى فى موضع تنثر الشمال والأزهار عليه كل ربيع. وظن العروضى أن عمر يقول المستحيل، إلا أنه كان يعلم أنه لايلقى الكلام على عواهنه.

وقد كان... فلمّا توفى عمر وذهب العروضى يزور قبره، وجده كما حكى عنه، فأشجار الكمثرى والمشمش تبسط أغصانها على القبر، وتنثر من أوراق النور على الثرى وتغطيه بالزهر. وحينئذ تذكر ما سبق أن تنبأ به أستاذه فغلبه البكاء، ربما لأنه اعتبر منه النبوءة بمثابة الكرامة وعدّه من أهل الكرامات.

*****

(٥)

عمر الخيام الحكيم

وورد عن المحدثين أن عمر الخيام كان رياضياً وفلكياً، ومن ذلك **إدوارد كاسنار وجيمز نيومان** فى كتابهما **التخيلات الرياضية**، فقد ذكرا أن الخيام بالإضافة إلى رباعياته التى لاتخلو منها مكتبة فى العالم، كان فى الرياضة والفلك نسيج وحده. وفى كتابه **مختصر تاريخ الرياضيات** ينبه المؤلف **روس بول** إلى أن الخيام باعتبار علماء القرن العشرين فى الرياضيات يعتبر نابغة وخاصة فى الجبر. ويقول الدكتور **على عبد الله الدفاع** فى كتابه عن **نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات** أن عمر الخيام اهتم اهتماماً خاصاً بالمقدار الجبرى، وكان إقليدس قد حلّ فقط المقدار الجبرى ذا الحدين مرفوعاً إلى قوة أسه اثنين، فابتكر عمر الخيام نظرية ذات الحدين المرفوعة إلى أس أى عدد صحيح موجب، كما حلّ الكثير من معادلات الدرجة الثانية. وفى كتاب **دريك ستروبك مصادر تاريخية فى علم الرياضيات** يقول: إن الخيام ذكر فى **كتابه الجبر والمقابلة** قانوناً لحل المعادلات ذات الدرجة الثانية. ويورد **الدكتور الدفاع** أن دراسة الخيام للمعادلات الجبرية من الدرجة الأولى والثانية والثالثة كانت حوالى سنة ٤٧١هـ، وأنه عالج المعادلات التكعيبية واستخرج الجذور لأية درجة. وقد اعتبر **جورج سارتون** فى كتابه **المدخل إلى تاريخ العلوم** عمر الخيام من النوابغ لاستطاعته أن يحل بجدارة ودقة ١٣نوعاً من المعادلات من الدرجة الثالثة. ويضيف **إريك بل** فى كتابه **تطور تاريخ الرياضيات** أنه حل هذه المعادلات بطريقة هندسية تدل على نضج رياضى غير مسبوق. ويذكر **جورج سارتون** أن تصنيف المعادلات ينسب خطأ إلى **سيمون ستيفين**، والواقع أن الخيام هو صاحب التصنيف. ويذكر **الدكتور الدفاع** أن الخيام لم يكتف بتطوير علم الجبر بل أدخله على علم حساب المثلثات، وحل الكثير من مستعصيات هذا العلم باستعمال المعادلات الجبرية من الدرجتين الثالثة والرابعة، وبحث فى النظرية التى أسندت ظلماً وجحوداً إلى «فرما» العالم الغربى الذى أتى بعده بقرون، والقائلة إن مجموع عددين مكعبين لايمكن أن يكون «مكعبا». وفى عام ٤٧١هـ استطاع أن يستنتج طول السنة الشمسية بما قدره ٣٦٥يوماً و٥ساعات و٤٩دقيقة و٧٥ ، ٥ ثانية، ولم يتعدّ خطؤه إلاّ يوماً واحداً كل خمسة آلاف سنة، فى حين أن الخطأ فى التقويم الجريجورى المتبّع الآن مقداره يوم واحد كل ٣٣٣٠سنة. كما درس الخيام قاعدة توازن السوائل وركز على هندسة إقليدس، ووضع برهاناً جديداً للموضوعة الخامسة من موضوعات إقليدس.

وورد عن القدماء ومنهم **الشهرزورى** فى كتابه **نزهة الأرواح** أن الخيام يأتى فى الحكمة بعد ابن سينا، وكانت ميوله مع التصنيف، أى تصنيف الكتب العلمية، ومع التعليم، أى التدريس عموماً والرياضيات خصوصاً. ويشرح **زكريا القزوينى** فى كتابه **آثار البلاد وأخبار العباد** معنى أن الخيام من الحكماء فيقول: وكان عارفاً بجميع أنواع العلوم، سيما النوع الرياضى، فلما كان عهد السلطان ملكشاه سلّمه مالاً كثيراً ليشترى به آلات للرصد ليتخذ رصد الكواكب، ولكن السلطان مات وماكان الخيام قد أتمّ مشروعه. ومع ذلك يقول **ابن الأثير** كلاماً مختلفاً ويذكر فى كتابه **الكامل فى التاريخ** أن السلطان ملكشاه عمل الرصد واجتمع جماعة من أعيان المنجمين فى عمله، منهم عمر بن إبراهيم الخيامى وأبو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم، وجعلوا النيروز أول نقطة من الحَمَل، وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت. وصار مافعله السلطان مبدأ تقويم. وخرج عليه الوزير نظام الملك من الأموال الشىء العظيم، وبقى الرصد دائراً إلى أن مات السلطان سنة ٤٨٥هـ فبطل بعد موته.

وربما ينبغى أن أنوه بما أفهمه من علمىّ **التنجيم والفلك** مما يختلط فيما يبدو على ابن الأثير، **فالتنجيم** نوع من العرافة، **وعلم الفلك** من علوم الرياضيات وينفى العروضى تلميذ الخيام ومؤرخه أن يكون عمر من المنجمين فيقول إنه «لم يحدث أن شاهد منه قط أنه يعتقد بأحكام النجوم»، ويروى كشاهد على علم الخيام فى مجال الفلك أنه فى شتاء سنة ٥٠٨هـ أرسل السلطان فى مدينة مرو إلى السيد الإمام عمر أن يعمل اختباراً ليذهب إلى الصيد بحيث لاينزل فى بضعة الأيام تلك ثلج ولامطر. وكان الإمام فى صحبة واحد من الكبراء وينزل بقصره، فأرسل صاحب القصر يستدعيه ويخبره بالأمر. وانصرف الإمام عمر واشتغل بذلك يومين وضع فيهما اختباراً حسناً، وذهب بنفسه وأعلم السلطان بالاختبار. فلّما ركب السلطان وذهب مدى صيحة فى الأرض، انعقد السحاب وهبّت الريح ونزل الثلج والضباب، فضحكت حاشية السلطان، فأراد أن يعود، ولكن الإمام عمر قال له: لتطمئن نفس الملك فإن السحاب سينقشع الساعة، وفى هذه الأيام الخمسة لن يكون بللٌ قط. فانطلق السلطان وانقشع السحاب، ولم يكن فى تلك الأيام الخمسة بللٌ قط، ولم ير أحدٌ سحابا.

وواضح أن هذا العلم الذى نبغ فيه عمر هو **علم الأرصاد الجوية**، وله فيه رسالة فيما تكون عليه الأماكن من مناخات، ومايقتضيه التنبؤ من مهارات ومعارف. وكان الخيام شديد الالتزام بالمنهج العلمى. ويروى عنه القزوينى أنه نزل ببعض الرُبط فوجد أهلها يشكون من

كثرة الطير ووقوع درقها على ثيابهم، فاتخذ تمثالاً من الطين ليفزّعها به ونصبه على شرافة من الشرافات فانقطع الطير عن الموضع.

وعلم الفلك الذى برع فيه الخيام من علوم الحكمة التى اتقنها العرب، وربما مصدر الخلط بين التنجيم وعلم الفلك أن هذا العلم الأخير كان يسمى أيضاً علم النجوم، غير أنه لم يكن على الحقيقة علماً للفلك، بل كان علماً يُتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية، على الحوادث السفلية. أما علم الفلك فهو الذى يختص بحركة الأفلاك. وكان الاعتقاد أنها ثمانية أفلاك ورَصَدها أبرخس والمجسطى، وبرع فى الرصد من الإسلاميين البوزجانى والبيرونى فى عصر عمر الخيام، وفى غير عصره أبو معشر البلخى وحنين بن إسحق وثابت بن قره وابن كثير الفرغانى ونصير الدين الطوسى وغيرهم. ويبدو أن عمر الخيام قد توفر مع سبعة أو ثمانية من الفلكيين على إصلاح التقويم، وهو ماكان يعنى السلطان ملكشاه من هذا العلم، وقد أكمله وأصحابه فى عهده وأطلق عليه اسم **التقويم الجلالى**. ويقول «**جيبون**» المؤرخ الكبير صاحب كتاب **تاريخ هبوط وسقوط الدولة الرومانية** أن مذهب الخيام فى تقويمه ليفضل المذهب الجريجورى دقة وإحكاما، ويتفوق على التقويم الجولياني. ويبدو أن عمر الخيام كان إماماً لهذا العلم على الحقيقة، حيث يحكى **البيهقى** فى كتابه «**حكماء الإسلام**» أن حجة الإسلام الإمام الغزالى دخل عليه يوماً وسأله عن تعيين جزء من أجزاء الفلك للقطبية دون غيره، مع أن الفلك متشابه الأجزاء، فأطال الإمام عمر الكلام، وابتدأ من أن الحركة من مقولة كذا، وضنّ بالخوض فى محل النزاع، وكان ذلك دأبة حتى قام قائم الظهيرة وأذّن المؤذن، فقال الإمام الغزالىَ جاء الحق وزهق الباطل، وقام.

والواقعة تعنينا كثيراً إذ أننا نعرف أن الإمام الغزالى رضى الله عنه كان يلتقى بالخيام فى مجالس العلم، وأنه قد وقف منه فى هذه الجزئية من العلم موقف السائل. وربما قيلت الرواية جميعهاانتحالاً لبيان فضل الخيام على الغزالى فى العلم وخاصة علم الفلك. وإذا علمنا أن الخيام كما يقول الشهرزورى كان يميل إلى التعليم، فإننا من الحكاية السابقة أيضاً نستطيع أن نستشف طريقته فى التعليم، ويلفت البيهقى انتباهنا إلى هذه الطريقة بقوله أنه (١) كان يطيل الكلام فى مجلس العلم (٢) أنه كان لايخوض فى موضوع النزاع أو السؤال مباشرة (٣) أنه كان يحب أن يبدأ الكلام من أوله ويمسك خيط الموضوع من ابتدائه. وهذه الطريقة هى **طريقة التعليمية** من الحكماء، إذ أنهم كانوا يفتتحون تعليمهم بما يسمى **علم التعقل أو العلم التعليمى**، وهو عندهم أن يتولى الحكيم شرح موضوع التعليم من حيث مظهره ثم من حيث طبيعته إلى أن يستوفيه تماماً.

وعلم الحكمة الذى ينسب الخيام إليه فيوصف بالحكيم وسيد الحكماء، من العلوم الجامعة التى كانت تُدرّس فى المدارس النظامية الإسلامية وحلقات المشايخ، وفيه الكتب المستفيضة. وتعريفه أنه:١ – علم أحوال أعيان الموجودات على ماهى عليه، والموجودات التى يقصد إليها هى هذه الموجودات العينية الخارجية ٢ – ويدخل فى الحكمة العلم بأحوال الأعراض النسبية ٣ – ومن الحكمة العلم الرياضى، ومنه علم الحساب الباحث عن العدد، وهو قسم من الكم الموجود فى الخارج، وعلم الدوائر الهيئية التى موضوعها الأجرام العلوية والسفلية من حيث مقاديرها وحركاتها وأوضاعها اللازمة لها ٤ – ومنها علم المنطق.

وذهب الحكماء وعلى رأسهم الخيام إلى تفسير الحكمة أيضاً بأنها علم الكمال الحاصل للنفس، تكملاً معتداً به بتحصيل ماعليه الوجود فى نفسه، وماعليه الواجب مما ينبغى أن يُعمل من الأعمال ومالاينبغى، لتصير النفس به كاملة ومضاهية للعالم العلوى، وتستعد بذلك للسعادة القصوى الأخروية بحسب طاقتها البشرية.

ونلفت النظر بشدة لهذا الكلام لأن له انعكاساته على طموحات الخيام وإحساسه بالقصور الشخصى مما ينعكس على رباعياته ونلمسه فيها من نغمة الحزن ورنّة اليأس ومشاعر الجزع والإحباط والهمّ والقلق.

وموضوع علم الحكمة أشياء متعددة متشاركة فى الوجود المطلق أو الوجود الخارجى. **والغرض من تحصيل الحكمة** الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر مايمكن للإنسان، وأن يعمل بمقتضى علمه بها – **والغاية** هى أن يفوز بسعادة الدارين...**فهل تحقق ذلك للخيام؟**

والأعيان الموجودة التى يتعرف إليها الحكيم فى بحثه عن الحكمة أو قراءاته فيها أو تحصيله لها عن طريق الحكماء التعليمية. إما أن تكون الأفعال والأعمال، ووجودها يتم بقدرتنا واختيارنا أولاً، والعلم بأحوالها يؤدى إلى صلاح المعاش والمعاد ويسمى **حكمة عملية**، كما أن العلم بوجودها يسمى **الحكمة النظرية**، وهى نظرية لأن تحليلها بالنظر، وهى إدراكات وتصديقات تتعلق بالأمور التى لامدخل لقدرتنا واختيارنا فيها.

ومن الحكمة العلم بمايُصلح أحوال الشخص بمفرده، وهو **علم الأخلاق أو الحكمة الخلقية**، ومنها مايُصلح أحوال الجماعة كالأسرة والناس ويسمى **الحكمة السياسية**.

ومن الحكمة النظرية مايسمى **بالعلم الإلهى** لأن مسائله منسوبة إلى الإله، ومباحث هذا

العلم مدارها الرب الأعلى والعقول التى هى الملأ الأعلى. **وهذا العلم هو سبب الفلسفة** والفلسفة هى عند حكماء الإسلام كما كانت عند حكماء اليونان – أقول هى التشبه بحضرة واجب الوجود أي الله سبحانه – وأرجو أن يلاحظ القارىء أن الخيام كما سنرى من بعد يتخاطب مع الله خطاب ذات إلى ذات، لأنه ممتلىء بحضرة واجب الوجود، وماأشبهه بالحلاجّ وهو يقول مافى الجبة سوى الله، أى أنه لاوجود للحلاج فى الجبة فقد صار الحلاج موقوفاً مع الله بالله ولله. وقد درج أهل العلم على تسمية مثل هذه الأقوال للحلاجّ باسم الشطحات، **والشطح** كلام يترجمه اللسان عن وَجْد يفيض عن معدنه، مقرون بالدعوى، وقيل عبارة عن كلمة عليها رعونة ودعوى تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب. ولسوف نرى من ذلك الكثير عند الخيام، بأكثر مما عند الحلاّج والبسطامى، وذلك لأن الخيام كان فيلسوفاً على الحقيقة – أى من أهل الفلسفة وليس من خارجهم أو متضايفاً على مجالسهم. ومن أمثال شطحات الخيام (بترجمة الصافى):

إلهى قُل لى مَن خَلا من خطيئة
وكيف تُرى عاش البرىء من الذنب
إذا كُنتَ تجزى الذنب منى بمثله
فما الفرق مابينى وبينك ياربى؟!

وهذه الفلسفة بالإضافة إلى المنهج العلمى الرياضى الذى كان الخيام يأخذ به نفسه، هى التى طبعت رباعياته فجاءت كأنما هى منشور علمى فلسفى حافل بالحقائق العلمية والوجودية والقضايا الفلسفية بأسلوب شعرى وجودى.

وكان اشتغال الخيام بكل ماسبق من فروع الحكمة، وله المؤلفات فيها، وبقى من الحكمة أو من مواصفات الحكيم اشتغاله بالبرهان واهتمامه بالعلم الإلهى، وهو ماسنتناوله بعد أن نرصد أولاً مؤلفاته ثم نتحدث فيه كفيلسوف، وهو آخر ألقابه .

*****

(٦)

مؤلفات الخيام بخلاف الرباعيات

يقول **شمس الدين الشهرزورى** فى كتابه **ترجمة الأرواح وروضة الأفراح** الذى سبق التنويه به أن عمر الخيام كان يميل إلى التصنيف، ويقول **البيهقى** إنه كان تلو ابن سينا فى

أجزاء علوم الحكمة، وكانت له ضنة بالتصنيف.

ومصنفات الخيام منها ماهو موجود كمخطوطات أو مضمّن فى الكتب، أو قد ورد ذكره فى الكتب الجامعة، ومنها:

١ - رسالة فى **الجبر والمقابلة** بالعربية، ذكرها **بروكلمان** كأول محاولة ناجحة على مستوى العالم لحل المعادلات التكعيبية، وقال عنها إن الخيام قدميّز فى هذه الرسالة ثلاث عشرة معادلة لم يكتف بحلها جبرياً ولكنه حلّها هندسياً كذلك.

٢ - رسالة فى **شرح ماأشكل من مصادرات إقليدس**.

٣ - **مختصر فى الطبيعيات** ذكره الشهرزورى.

٤ - رسالة فى **ميزان الحكم** بالعربية فى الاحتيال لمعرفة مقادير الذهب والفضة والجسم المؤلف منها. وأوردها **على دشتى** خطأ فى كتابه **البحث عن الخيام** تحت اسم **ميزان الحكمة** وترجمها كذلك مترجمُه إلى الإنجليزية.

٥ - **زيج ملكشاهى** اشترك فى تأليفه.

٦ - كتاب النوروز أو **نوروز نامه** بالفارسية يبين فيه أعياد الفرس ومواسمهم وتواريخها وآدابهم فيها.

٧ - رسالة فى **لوازم الأمكنة** فى درك الفصول الأربعة وعلة اختلاف المناخ فى البلاد والأقاليم.

٨ - رسالة فى **الموسيقى** ذكر الزركلى أنها بمعهد المخطوطات العربية ولم أعثر عليها فيه.

٩ - رسالة **روضة القلوب** بالفارسية كتبها لابن الوزير نظام الملك.

١٠ - رسائل فى الفلسفة هى: رسالة فى **الكون والتكليف**، ورسالة فى **جواب المسائل الثلاث عن التضاد والجبرية والبقاء**، ورسالتان فى **الوجود**، ننشرها جميعاً لأول مرة عن مخطوطات بدار الكتب المصرية، والرسالة الأخيرة عن مخطوطه بمكتبة برلين.

ويورد الدكتور على عبد الله الدفّاع للخيام **٢٧مصنفاً**، منها رسالة الكون والتكليف يحصيهامرتين، ويبدو أنه قرأ أن الخيام توفى وكانت آخر قراءاته الشفاء فظنه من كتبه فرصده ضمن مؤلفاته!والشفاء كما هو معروف لابن سينا. ومما سجله له من رسائل:

١ – رسالة تبحث فى النِسَب.

٢ – كتاب مشكلات الحساب.

٣ – مقدمة فى المساحة.

٤ – رسالة عن المصادرة الخامسة من مصادرات إقليدس.

٥ – رسالة فى حساب الهند.

٦ – كتاب المقنع فى الحساب الهندسى.

٧ – رسالة فى المعادلات ذات الدرجة الثالثة والرابعة.

ولايذكر الدكتور الدفاع المراجع التى استقى منها معلوماته، وإنما اكتفى بالرصد دون سند، مع أن كل المراجع التاريخية والعلمية تكتفى بما أحصيناه وليس منها ما أفادنا به، ولذا لزم التنويه.

*****

(٧)

عمر الخيام الفيلسوف

قلنا إن الخيام كان يُطلَق عليه «**الحكيم**»، وشرحنا اتصال الحكمة بعلمىّ الرياضى والطبيعى ومُدخلات الخيام فيهما.

ويُطلَق الحكيم أيضاً على صاحب الحجة القطعية المسماة بالبرهان، فإذا كانت الحكمة هى علم الهيئة فإن المعرفة بهذا العلم ليست غاية فى حد ذاتها بالنسبة لعقلية فذة موسوعية كعقلية الخيام، لأن غاية التعلم وتحصيل الحكمة أن يتحقق للمرء بها أن يكون حكيماً، وأن تتحصل له بالحكمة السعادة فى الدنيا والآخرة، ومن أجل ذلك أطلق **جوته** على الخيام اسم «**الحكيم السعيد**» ودلّل بذلك حقيقةً على سعة علمه بالفلسفة الإسلامية، وبمعانى الحكمة عند المسلمين. وقلتُ إنى أطلق على الخيام اسم «**الحكيم الوجودى**» وليس السعيد، لأنه لم تتحصل له بالحكمة السعادة المرتجاة، بل كان بها بائساً وشقياً، يخترمه القلق ويشمله جميعه ويضعه ضمن الفلاسفة الوجوديين. وكانت غاية الفلسفة عند المسلمين أن تتحقق للنفس الناطقة مرتبتها العليا بمعرفة الصانع تعالى، بما له من صفات الكمال والتنزه عن النقصان، وبما صدر عنه من الآثار والأفعال فى النشأة والآخرة، **فهل ياتُرى بلغ الخيام هذه الغاية؟**

إن السبيل إلى معرفة الصانع تعالى من وجهين: **الأول**: طريقة أهل النظر والاستدلال، وسالكوها إنْ اتبّعوا الدين فَهُمْ المتكلمون، وإلاّ فهم الحكماء المشّاءون، ولُقّبوا بذلك لأنهم كانوا في القديم مشّائين في ركاب **أرسطو**، ومتعلمين منه العلم والحكمة بطريق المباحثة.

والطريقة الثانية:هي طريقة أهل الرياضة والمجاهدة، وسالكوها إن وافقوا في رياضتهم الشريعة فهم الصوفية المتشرعون، وإلاّ فهم **الحكماء الإشراقيون**، ولُقّبوا بذلك لأنهم هم الذين أشرقت بواطنهم الصافية بالرياضة والمجاهدة من باطن **أفلاطون**، حاضرين في مجلسه، أو غائبين عن مجلسه، ومتوجهين إلى باطنه الصافي المنجلّى بالعلوم والمعارف، مستفيدين منه بالتوجه إلى باطنه، لا بالمباحثة والمناظرة.

وفي شرح «**إشراق الحكمة**» أن مراتب الحكماء عشر: **إحداها** حكيم إلهي متوغل في التألّه، عديم البحث، وهذا كأكثر الأنبياء والأولياء من مشايخ التصوف، **كأبي يزيد البسطامي** ونحوه من أرباب الذوق دون البحث الحكمي، **وثانيتها** حكيم بحّاث، عديم التألّه، متوغل في البحث، وهذه المرتبة عكس المرتبة الأولى، وهو من المتقدمين كأكثر المشّائين، ومن المتأخرين كالشيخين **الفارابي وأبي علي بن سينا** وأتباعهما، **وثالثتهما** حكيم إلهي متوغل في البحث والتألّه، وهذه الطبقة أعز من الكبريت الأحمر كما يقولون، ولايُعرف أحد من المتقدمين موصوفاً بهذه الصفة بخلاف **أرسطو**، لأنه توغل في معرفة الأصول والقواعد، وبسط الفروع، وفصّل المجمل، وميّز العلوم من بعض ونقّحها وهذّبها، **ورابعتها وخامستها** حكيم إلهي متوغل في التألّه، إما متوسط في البحث، أو أنه ضعيف، **وسادستها وسابعتها** حكيم متوغل في البحث، متوسط في التألّه، أو ضعيف، **وثامنتها** طالب للتألّه والبحث، **وتاسعتها** طالب للتألّه فحسب، **وعاشرتها** طالب للبحث فحسب.

ولسوف نرى مرتبة الخيام في الحكمة الإشراقية هي **المرتبة الثالثة**، وهي مرتبة **الحكيم المتألّه المتوغل في البحث والتألّه**. وسبق أن أشرنا في الفصل السابق أن للخيام بحوثاً في الحكمة النظرية والعملية، فيها العمق والأصالة، وأنه كتب عدداً من المقالات الفلسفية، منها **رسالتان في الوجود**، ورسالة في **الكون والتكليف**، ورابعة عن **التضاد والشر والجبرية والقدرية والبقاء والباقي**.غير أنه قد بسط فلسفته في الوجود عن حقٍ في الرباعيات وفصّل فيها القول تفصيلاً بطريقة شعراء الصوفية، أو الفلاسفة الإشراقيين، وإن كان في شعره قد بالغ في إخفاء معانيه الباطنة، وجعل فلسفته كالأمثال الدارجة، وصاغها في قالب الرباعيات لتأتي على شكل شعبي أشبه بالمواويل، وقد رآها **فيتزجيرالد** كذلك، ونقل عنه

المازني وجهة نظره هذه وطوّرها فقال: يخيل إليك وأنت تقرأ رباعيات الخيام... كان الخيام كأولاد البلد أبناء الجيل الماضي في مصر، ممن كان همّهم أن يحيوا الليل بالشراب والطرب والأنس، فإذا تنفّس الصبح عادوا بمخادعهم وأسدلوا الأستار وحجبوا الضوء وألقوا رءوسهم على الوسائد وناموا. ولاتعدم من هؤلاء أيضاً فلسفة، فقد تسمع منهم قولهم إن العمر قصير، وإن المنايا راصدة، وإن العصفور في اليد خير من ألف عصفور على الشجرة، وبعد رأسي لا كانت الدنيا، إلى آخر هذه الكلمات التي تخطر بكل بال وتكاد تجري على كل لسان، والتي هي من الشيوع والابتذال بحيث لاتستحق تكريم الارتفاع بها إلى مستوى النظرات في الحياة، فهو يقول مثلاً فيما ترجم رامي:

أين النديم السمح؟ أين الصبوح؟ * فقد أمضّ الهّم قلبي الجريح
ثلاثة من أحب المنى * خمرٌ وأنغام ووجهٌ صبيح

أو يقول:

لاتشغل البال بماضي الزمان * ولاتأتي العيش قبل الأوان
واغنم من الحاضر لذّاته * فليس في طبع الليالي الأمان

ولانرى أن تهمة ابتذال معاني الفلسفة في الأعمال الأدبية بالشئ الجديد الذي يستحضره المازني، فهذه التهمة نفسها قد وُجه بها سقراط عندما رأى أنه لاانفصال بين الفكر والوجود، وأن الفلسفة لابد أن تنزل إلى الأسواق، وأن يتعاطاها إنسان السوق كما يتعاطاها الأكاديمي الباحث، ومن أجل ذلك قيل إن تاريخ الفلسفة ينقسم بمجيء سقراط إلى ماقبل سقراط ومابعده.

وأرى أن ماحدث مع سقراط وقع مثله للخيام، فلقد بلغ من بساطة أحاديث سقراط أن شككوا في وجوده أصلا، إلا أن الباحثين أثبتوا أنه كان إنساناً حقيقيا، وأنه عاش ومات في أثينا، وأنه كان من الطراز السوفسطائي المعلّم، وأنه كان يعلم شباب أثينا حكمة التمايز عن الآخرين، وأنه دخل في محاورات ومساجلات اشتُهرت عنه وجعلت لفلسفته طابعاً شعبياً، ولشخصيته طابعاً إنسانياً عميقاً، وكان شعاره **إعرف نفسك**، واتُهم بإفساد الشباب وحُكم عليه بالإعدام، وكان يؤثر الإنسان بنظره، ويُشغل بالأخلاق باعتبارها ماهية الإنسان، وهذا ماعناه **شيشرون** عندما قال إن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، أي أنزل الفلسفة من البحث في الأفلاك والعناصر إلى البحث في النفس وفيما يؤدي إليه خيرها،

وأبدى نفوره من صراعات الآلهة وشهوانيتهم لاعتقاده أن الألوهية مثل أعلى وضمير نقى، وذلك ماجعله ينبذ القرابين والصلوات فى المعابد لإيمانه أن الدين عقيدة وعمل، وأنه لامعنى لطقوس تُؤدّىَ مع تلطيخ النفس بالإثم.

ونفس هذا الشىء سنجده عند الخيام، وهو ما أدّى إلى الاشتباك مع الناس كما حدث مع سقراط الذى كان يلجأ إلى تسفيه أحلامهم بجَدَلَه السقراطى، فاتهموه بالإلحاد وأنه يسخر من الآلهة (**نفس التهمة للخيام**).

وتطورت طريقة سقراط فيما يسمى **بالفلسفة الشعبية** فى عصور التنوير اللاحقة، وقبل هذه الفلسفة لم يكن لأحد الجرأة على مناقشة مسائل الدين، فتصدّى لها فلاسفة من «أولاد البلد» رفضوا أن يكتبوا فيها باللاتينية، ونبذوا مصطلحاتها، واستخدموا اللغة الشعبية والحوار، ومن هؤلاء فى ألمانيا مثلاً **كرستيان توماسيوس**، وكان أستاذاً جامعياً تحلل من الالتزامات الاسكولائية، وحاضر بالعامية، وأصدر جريدة بالعامية.

وفى حالة الخيام نجد أن النقاد يجمعون على أن شعره يكاد يكون عامياً، وهو بهذه الصفة من شعراء الدرجة الثانية، وربما الثالثة، بل إن مراجع الشعر الفارسى القديمة تخلو من أى ذكر له، ولم يحفل أحد بتسجيله على الطريقة الأكاديمية.

وإنه لما يلفت النظر فى الخيام أنه قد تُرجم إلى العامية فى مصر والعراق ولبنان، وهى أول محاولة فيما نعلم لترجمة تراث إنسانى للّغة العامية، الأمر الذى يثبت إحساس شعراء العامية بنبض الخيام، وأنه منهم، وقد أوردنا فى هذه الكراسة أربع تراجم بالعامية للرباعيات.

ولما أعدم سقراط واصل **أفلاطون** طريقته، وإنما لم ينزل بالفلسفة إلى الأسواق، واكتفى بطريقته التعليمية المشائية داخل مدرسته التى أنشأها لذلك، وورث **أفلوطين** تعاليمه وأقام نمطاً فريداً من الفلسفة يمكن تعريفها بأنها فلسفة دينية، أو دين مفلسف أساسه العقلية العلمية.

وهذه المدرسة الأفلاطونية الجديدة هى التى أثّرت فى فكر الخيام وصنعت فلسفته، ولم يكن الخيام بدعةً فى ذلك، فهى أيضاً المدرسة التى كان لها أكبر الأثر فى الفكر الإسلامى، وكان تأثيرها واضحاً فى كتابات مثل **سلامان وأبسال لابن سينا، وحى بن يقظان لابن طفيل، والغربة الغربية للسهروردى**.

وعرف الإسلاميون أفلوطين باسم **الشيخ اليونانى**، وتبينوا فى **الأفلاطونية الجديدة** نزعتها الروحية التى جعلتهم يميلون إليها أكثر، ونفذت غنوصيتها فى الثقافة الإسلامية وتسللت حتى إلى علم الحديث.

ويذكر علماء الحديث **ثلاثة** أحاديث موضوعة اصطبغت بالصبغة الأفلاطونية، الأول: «**أول ماخلق الله العقل، فقال له اقبْل فاقبْل، ثم قال له ادبْر فادبر، ثم قال وعزّتى وجلالى ماخلقتُ خلْقاً أكرمَ علىّ منك. بك آخذ، وبك أعطى، وبك أثبت، وبك أعاقب**». والثانى: «**كنت نبياً وآدم بين الطين والماء**». والثالث: «**كنت كنزاً مخفياً، فأحببتُ أنْ أعرف فخلقتُ خلقاً فعرّفتهم بى فعرفونى**».

فهل نستغرب بعد ذلك أن تكون فلسفة الخيام **فلسفة مشائية إشراقية**، وأنه قد اختار لها **الصيغة الشعرية العامية التى للرباعية**، ليكون أقرب إلى الناس فيحدثهم حديثه فى الحكمة؟

أقول: **هل نستغرب ذلك؟**

*****

ولسوف نناقش فلسفة الخيام بأكثر من ذلك لنرى أصولها وجذورها، وذلك يتطلب حتماً **أن نعرف عنه أولاً، ومن تربيته وثقافته، ومواصفات زمانه ومكانه، لنحيط بتأثير ذلك كله على تفكيره**.. وذلك موضوع الفصل التالى إن شاء الله.

*****